

الخصوصية الإيديولوجية والفنية والموضوعية لقصص أنطون تشيخوف Ideological and Thematic Specificity of Anton Chekhov's Stories

بوهروية عائشة*

جامعة وهران 2 محمد بن أحمد

hayatorn31@gmail.com

تاريخ النشر: 2024/12/31	تاريخ: القبول: 2024/12/23	تاريخ الإرسال: 2024/12/17
-------------------------	---------------------------	---------------------------

الملخص:

حظيت شخصية "أنطون بافلوفيتش تشيخوف" من خلال أعماله الأدبية باهتمام الباحثين والنقاد، و أثار العديد من التساؤلات حول مكانته في الأدب الكلاسيكي الروسي خلال القرن الماضي مما جعله يحظى بالعديد من الألقاب التي تعكس مكانته في عالم الأدب: كسيد القصة القصيرة، عبقرى السخرية، طبيب الأدب، ورائد الواقعية، وقد تميزت أعماله القصصية بالموضوعية التي تعكس عمق التجربة الفنية لديه.

بناء على تحليلنا لنصوص "تشيخوف" في ضوء المناهج النقدية المعاصرة تم تحديد الخصائص الفنية للقصة القصيرة لديه والتي تهتم بالربط بين الذاتية والموضوعية بأسلوب سردي فريد.

كلمات مفتاحية: الأدب الروسي؛ المؤلفات؛ القصة القصيرة؛ الإيديولوجيا؛ الموضوعية.

Abstract:

The literary works of Anton Pavlovich Chekhov have garnered significant attention from researchers and critics, sparking numerous questions about his place in Russian classical literature during the last century. This has led to him being bestowed with several titles that reflect his stature in the literary world: Master of the Short Story, Genius of Satire, Doctor of Literature, and Pioneer of Realist. His short stories are distinguished by an objectivity that reflects the depth of his artistic experience.

Based on our analysis of Chekhov's texts in light of contemporary critical approaches, we have identified the artistic characteristics of his short stories, which focus on the connection between subjectivity and objectivity in a unique narrative style.

Keywords: Russian literature; writings; short story; ideology; thematic.

1. مقدمة:

عرف الأدب الروسي انتشارا عالميا ملحوظا عن طريق الترجمة، فأثر تأثيرا إيجابيا على ثقافة عديد المجتمعات، بعدما أصبحت روائعه الفنية- رواية وشعرا - مصدر إلهام لعديد القراء والكتاب، الذين اعتبروها من النصوص الأدبية الرائدة. كما ساهم هذا الأدب المترجم في تشكيل الوعي الأدبي والفكري، إذ حملت بعض الروايات المعربة في طياتها النزعة الإنسانية العميقة والأصيلة، التي أثرت بشكل ملحوظ في البناء الوجداني، وفي التكوين الثقافي، وفي تراكم عوامل النضج الفكري والنفسي. لقد كشفت هذه النصوص الروسية عمق النفس الإنسانية بكل ما فيها من تنوع وتعقيد ونوازع، كما فعلت مؤلفات دوستويفسكي. أو عن طريق السخرية من الواقع الصعب والمر كما انتهج غوغول، أو عن طريق تصوير القهر والتعاطف مع المقهورين والفقراء والضعفاء كما اختار تولستوي، أو بالشغف الرومانسي السامي والواقعي،

لدى تورغنيف، أو بتصوير القاع الاجتماعي والتناقضات الواقعية برهف وإحساس لدي تشيخوف وغوركي وغيرهما، وفق معايير فنية عالية المستوى.

كان للأدب الروسي دور ريادي، ففي الستينيات والسبعينيات من القرن العشرين، أسهمت هذه الروايات والقصص المنشورة باللغة العربية،- التي كانت مصدرا مؤثرا في صياغة الوعي السياسي، بعدما تناولت موضوع البطولة والصمود والتضحية في الحرب الوطنية العظمى، أو الكفاح المتفاني من أجل الإعمار بعد دمار الحرب،- في إذكاء الروح الثورية والوطنية في الوطن العربي، إضافة إلى ذلك، فقد اعتُبر المجتمع الروسي قريبا من الثقافة الشرقية أكثر مما هو أوروبي غربي، بسبب القيم المشتركة بينه وبين العرب، لهذا رُحِبَ به وسمح له بدخول البيوت العربية كجار قريب وليس كضيف غريب، وقد ساعده ذلك على نشر ثقافته بيسر وترحيب.

بدأت البلدان العربية بترجمة الأدب الروسي الكلاسيكي إلى اللغة العربية مع مطلع القرن العشرين، فتعرف قراؤها على الأدباء والمبدعين الروس، ثم استمرت العلاقات الثقافية، ونشطت الترجمة في المراحل اللاحقة، فغدا الأدب الروسي الكلاسيكي والواقعي من أهم مصادر وعي الشباب الحالم بالتغيير، وروج هذا الأدب الروسي للأفكار التحررية والثورية، مع سعيه لنشر مبادئ ومواضيع أخرى في شتى المجالات.

إن أبرز المواضيع التي لا يمكن التغاضي عنها، هي تلك المتعلقة بالمشاعر الإنسانية، ولعل من أسماها، مشاعر الحب، فقد عبر عديد الأدباء -كل على منواله وبدرجات متفاوتة - عن هذا الإحساس الراق، ومن هنا ظهرت الحركة الرومانسية، مركزة في أعمالها على المشاعر والخيال. والأكيد، أن حديثنا عن الأعمال الأدبية، يجعلنا نجزم دون تردد استحالة مقارنة الأدباء الروس بالأدباء الغربيين، فالرواد الروس تفوقوا إبداعا وفنا.

"أنطون تشيخوف" أحد أبرز رواد القصة القصيرة في الأدب الروسي، سعى من خلال نصوصه إلى الدفاع عن القيم الأخلاقية وربطها بالذات الإنسانية. وقد وظف تقنيات فنية في بناء قصصه وروايته، كصغر حجم نصوصه، مع اختياره الدقيق لعناصر الحياة، وتجديده

لتقنيات بناء الحكمة، التي من شأنها الكشف عن موقف المؤلف تجاه الأحداث و علاقته بالشخصيات التي لم يتم الإشارة إليها بشكل مباشر في كتاباته.

تميزت كتابته السردية بالأصالة البسيطة، إذ استبعد الكاتب بشكل شبه كامل الاستطرادات الغنائية أو التصريحات المباشرة التي تساعد في استخلاص موقف المؤلف، انطلاقاً من الأحداث، والشخصيات. ووفقاً لرأي "تشيخوف" يجب على القارئ إدراك المعاني العميقة للنص مشيراً إلى أن هذا لا يتحقق إلا بامتلاك الكاتب لأدوات فنية تسهم في إشراك القارئ في إنتاج النص وتأويله.

سعى "تشيخوف" من خلال أعماله الفنية إلى إثارة ذهن القارئ وتحفيز خياله لتعميق فهمه وتصوره للأحداث والوقائع، إذ تربط موضوعاته بين الذاتية والموضوعية عبر ما يسمى بـ "الانحياز الخفي" الذي يُظهر انفصال المؤلف عن الموضوع وحياديته من خلال القراءة السطحية المباشرة. لأنه يتوقع قارئاً يدرك مقصدية المؤلف ويفك شفرة النص. وبذلك يشكل القارئ النموذجي عنصراً هاماً في عملية البناء السردية في كتاباته الإبداعية. فما هي الأدبيولوجيا المتبعة من قبل الكاتب في اختيار مواضيعه؟ وما هي القضايا المطروحة فيها؟ سنقارب هذه النقطة في مقالنا، ولكن قبل ذلك، سنتعرف على هذا الكاتب الذي اكتشفنا أنه لم يكتب طوال حياته رواية طويلة، ولكن اقتصر قائمة أعماله على مجموعة كبيرة من القصص القصيرة.

1. تشيخوف الطبيب والأديب:

" أنطون بافلوفيتش تشيخوف" (Anton Pavlovich Chekhov)، كاتب وأديب روسي وصاحب المقولة المشهورة "الطب زوجتي الشرعية أما الأدب فهو عشيقتي"، فرغم مزاولته لأسى مهنة على وجه الأرض ألا وهي "الطب"، إلا أنه أحب بشغف الأعمال الأدبية، فقد كتب أكثر من 500 قصة قصيرة لا تقل فنياً وجمالاً عن الروايات العالمية، بالإضافة إلى العديد المسرحيات والقصص الطويلة، والمقالات، وغيرها من الأعمال الأدبية.

"أنطون بافلوفيتش تشيخوف" هو الابن الثالث لعائلة مكونة من ثمانية أفراد (والدين وستة أطفال) ولد في 29 من كانون الثاني (يناير) لعام 1860 في تاغانروغ، وهو ميناء على بحر آزوف في جنوب روسيا.

بدأ الكتابة منذ أن كان طالباً في كلية الطب في جامعة موسكو، ولم يتركها حتى أصبح من أعظم الأدباء. كتب في بادئ الأمر لتحقيق مكاسب مادية، ولكن سرعان ما نمت طموحاته الفنية، وقام بخلق تقنيات إبداعية أثرت بدورها في تطوير القصة القصيرة الحديثة.

نال هذا الكاتب شهادة الطب عام 1884، ثم مارس مهنته الرئيسية، بيد أنه لم يجني منها الكثير من الأموال لأنه كان يعالج الفقراء مجاناً. توفي في 15 من تموز (جويلية) لعام 1904، تاركاً وراءه سلسلة لا تعد ولا تحصى من الموروث الثقافي والأدبي، ولا يزال إلى يومنا هذا، مصدر إلهام للعديد من الأدباء.

لقد قال عنه الناقد البريطاني دونالد رايفيلد^{1*} (Donald Rayfield) في مقدمة عمله "سيرة الكاتب الروسي العظيم" بأن أ. تشيخوف: "قد أضفى على النثر الأدبي الأوروبي، طريقة جديدة غامضة، وذات مغزى، وكثافة نصية، وشعر خفي"^[1].

لقد كان "أنطون بافلوفيتش تشيخوف" أول قاص يهمل البطل الإيجابي والدراما، ويركز على الحياة العادية للفرد. فأبطال قصصه ينغمسون في الظروف القاهرة والروتين الممل، دون أن يمتلكوا تطلعات خاصة. فهذه الشخصيات تشبه الإنسان الحقيقي المتواجد في الواقع، متجنباً الحكم عليها أو استهجان تصرفاتها، ومكتفياً بإصلاحها برؤية المراقب من بعيد.

2. الإيديولوجيا السائدة في مؤلفات أنطون تشيخوف:

تميزت قصص "تشيخوف" بالعمق الفلسفي والرؤية الفريدة للحياة، والتي عبرت عنها شخصيات أعماله وأحداث قصصه. هذه الرؤية تجلت في تركيزه على القضايا الإنسانية العميقة مثل: الوحدة، والاعترا ب، واللامعنى، والظلم الاجتماعي، وابتعاده عن الأفكار المستهلكة والموضوعات النمطية. والملفت للنظر أن "تشيخوف" لم ينحاز لأي اتجاه

أيديولوجي، لكنه قدم نقدا موضوعيا لمجتمعه وثقافته. ومن العسير فهم الإيديولوجيا في قصص "تشخوف" ودوافع اختياره لمواضيع وصور محددة، لأنّ عمق أفكاره يتجاوز التصنيفات الأيديولوجية البسيطة، بحيث كانت رؤيته الشخصية هي الدافع الأساسي لاختياره لهذه القضايا.

ومن المؤكد ألا وجود لنص أدبي يخلو بشكل مطلق من الأيديولوجيا؛ إذ لا بُد أن يحمل كل مكتوب أيديولوجيا حسب انتماء جنسه: "سواء أكان قصة قصيرة، أو مقالة، أو رواية؛ لأنّ الأدب صورة من صور الفكر، يعبر من خلاله الأديب عن رؤيته، وعلاقاته المتداخلة مع الإنسان والمجتمع". [2]

تبرز الأيديولوجيا في مؤلفات "تشخوف" بصورة متشابكة ومعقدة؛ لأنها تتطلب فهم العلاقات بين عناصر نصية متداخلة، حيث يعد الحوار من أهمها في القصة القصيرة، أو المسرحية؛ لأنّ القارئ يتمكن من سماع صوت الشخصيات وهي تتحدث، ومن ثم تتجلى طبيعة الصراع بينها.

إن الكتابة الأدبية نوع من أنواع التفاعل بين الأديب والمجتمع، فالكاتب يسلط الضوء على قضايا المجتمع، ويتفاعل معها تفاعلاً عميقاً، محاولاً النفاذ إلى جوهر الأمور، وبناءً على ذلك تختلف نظرة الأديب للواقع الخارجي؛ فإما أن تكون نظره سلبية تلمس ما في الواقع من صراع وتناقض، أو تكون إيجابية تعبر عن حركة الواقع والصراع فيه، والسعي إلى التأثير فيه من خلال الأدب، فالأديب يساعد القارئ لاكتشاف بعض الأمور الحياتية بصورة بعيدة عن المباشرة والتقيرية. [3]

فعلى سبيل المثال: يعتبر الخوف من الحياة الواقعية، والحرية الداخلية، والفقر، من الموضوعات الغالبة في مؤلفات "تشخوف"، وقد أشار تشوداكوف*2 (Alexander Chudakov) إلى أن: "موضوع الحاجة، والفقر (في قصة تشخوف "الرجال" 1897)، يتخلل

العمل بأكمله، ويمر عبر العديد من "المناشير" الذاتية، ويتغير، ويتعمق، ويملاً بمحتوى واقعي وعاطفي مختلف [4] :

«كان الموقد منحرفاً، وكانت أخشاب (جذوع) الأشجار في الجدران غير متوازية... الفقر؛ الفقر!»، «كان كوخهم هو الثالث على الحافة ويبدو أنه الأفقر والأقدم في المظهر؛ والكوخ الثاني لم يكن أفضل منه...».

في قصة "الخوف" 1886، تناول الكاتب موضوع خوف البطل من الحياة، فهو أكثر ترويعاً من "ظلال الحياة الآخرة". ينبثق الموضوع الرئيسي للقصة، بشكل لا إرادي تماماً، حيث يبدأ البطل فجأة بالحديث عن ذلك لأن خصلات الضباب جعلته "يفكر في الأشباح والموتى". [4]

يمكن ملاحظة الحرية الداخلية لـ "تشيخوف" في قصصه، باعتبارها العلامة الأكثر لفتاً للانتباه في شخصياته. حيث قال عنه مكسيم غوركي^{3*} (Maxim Gorky) أنه كان الشخص الحر الوحيد الذي عرفه على الإطلاق. كونه عدواً للفظاظة، والافتقار إلى الروحانية والابتذال. سعى "تشيخوف" إلى تحسين شخصيته بإصلاح بعض عيوبه، كما كان عصامياً. فكانت جل مؤلفاته دعوة للتحرر الروحي وتحرير الإنسان «الضغط على العبد قطرة قطرة...».

يرى كاتايف^{4*} (Valentin Petrovich Kataev)، أحد أشهر الباحثين في إبداعات "أنطون تشيخوف"، أن هذا الأخير "لم يقاتل الآمال، بل الأوهام، فقد درس ثقافة العصر، وانتقل من المظاهر الفردية إلى التعميمات الواسعة. كما أعطى معنى عالمي مهم للتأملات، والبحوث، والأوهام لـ "الرجل العادي" في عصره. ودرس كيف تنكسر القضايا العامة للوعي البشري في البيئة الجماعية على أساس "متوسط الوجود الإنساني". [5]

أخذت قصص "تشيخوف" في نهاية التسعينيات منحى آخر، فقد ظهرت تأملاته المفصلية وحججه الفلسفية، حيث عقب "إزميلوف"^{5*} (Alexander Izmaylov) عام 1898 على ذلك، إذ قال: "... يبدو لنا أن نقطة تحول خطيرة قادمة في مؤلفات تشيخوف... إن التصوير الموضوعي والهادئ للواقع يفسح المجال لمناقشة شرور الحياة مناقشة فلسفية، على المسرح وليس حقيقة، فهي فلسفة الحقيقة "[6]. تتوافق ملاحظة الناقد هذه بشكل خاص مع البنية الفنية لـ "الثلاثية الصغيرة" لتشيخوف (1898): "الرجل الملعّب"، "عنب الثعلب"، "عن الحب"، تعتبر هذه الثلاثية عمل موحد ينتهي إلى القصة القصيرة، حيث تجمعها وحدة الأبطال الذين ينتقلون من قصة على أخرى، فيصبح أحدهم راويًا لقصة أخرى. فموضوع قصة "الرجل الملعّب" (أو رجل في علبة كترجمة حرفية من اللغة الأصلية، ترجمت هذه القصة إلى اللغة العربية من قبل أبو بكر يوسف في ثمانينات القرن العشرين)، يدور موضوعها حول الحياة في بلدة إقليمية. بطل القصة هو "بيليكوف" مدرس اللغة اليونانية، الذي يختلف عن الجميع لأنه يرتدي حين خروجه من البيت خفا فوق الحذاء ويحمل معه شمسية، ولا يترك معطفه الثقيل المبطن بالقطن، حتى وإن كان الطقس جميلاً، كانت شمسيته مطوية في كيس، كما كان يخفي وجهه على الدوام بياقة المعطف المرفوعة، وعندما يركب سيارة يأمر السائق بإغلاق النوافذ، بل ويسد أذنيه بالقطن، ويسعى إلى إخفاء أفكاره، فلم يكن هذا البطل يتقبل إلا الأوامر الحكومية التي تأتي عبر النشرات أو في الصحف الرسمية التي تمنع شيئاً ما. كما كان يجد نفسه مهموماً إذا لاحظ في سلوك البشر خروجاً عن القواعد الاجتماعية، دون أن يكون له دخل في ذلك. إنّ هذه الشخصية الروسية الأصلية تميل في المجمل إلى وضع نفسها فيما يشبه "العلبة" التي يمكن أن تعزلها وتحميها من المؤثرات الخارجية.

فرض السيد بيليكوف سطوته على المدرسة لمدة خمسة عشر عامًا، بل وانتقلت هذه السيطرة على المدينة بأكملها، فقد أصبح سكان المدينة يخشون كل شيء، يتحدث بصوت عال، وإرسال الرسائل، والتعارف، يتجنبون الحفلات الموسيقية، وقراءة الكتب، ويخشون مساعدة الفقراء وتعليم القراءة والكتابة. فكيف استطاع صاحب الخف والشمسية أن يبسط

سلطانه على مدرسين مثقفين ثقافة رفيعة وفهم من يجيد لغات أجنبية عديدة، ومع ذلك خضعوا له، وتحملوه، وهنا يكمن السؤال.

تعتبر هذه الشخصية مستبدة وضحية في آن واحد، ومثيرة للشفقة والسخرية كذلك، تزرع الخوف في قلوب الجميع. كما كانت وفاتها غير مهمة وقصصية. إذن، تم خلق صورة نمطية لشخصية "الرجل المعلّب" في القصة الأولى من الثلاثية، بحيث يلجأ الكاتب إلى تعداد مواصفات الشخصية من خلال التكرار المستمر لجزيئات العنوان وبشاعة حملته المعنوية. ومع ذلك، فإنّ القصة لا تقتصر على السخرية من البطل. "لأنّ الكثير من أمثال بيليكوف" يولدون وهم يحملون شها به :

«أليس حقيقة أننا نعيش في مدينة، في اختناق، في ضيق، نكتب في أوراق لا لزوم لها، نلعب الأوراق، لكن أليس ذلك علبة؟ لا، من المستحيل أن نعيش هكذا بعد الآن»

هذا فيما يخص القصة الأولى، أما الثانية الموسومة "عنب الثعلب" (والعنوان هنا عبارة عن اسم لفاكهة تشبه العنب) فهي تصف مظاهر أقل وضوحاً من سابقتها، حيث تسرد القصة كيف يشوه الإنسان حياته طواعية. فقد قلل شقيق "تشيمشا" (البطل) من معنى وجوده بعد الاستحواذ على ممتلكاته الخاصة، حيث سينمو عنب الثعلب بالتأكيد. وهذا الهوس غير الضار يقود البطل إلى أن يفقد مظهره البشري تماماً. وهنا يلجأ "تشخوف" مرة أخرى إلى البشاعة والانحطاط كتقنية سردية:

«أذهب إلى المنزل، وألتقي بكلب أحمر، سمين، مثل الخنزير. يريد أن ينبح، لكنه كسول للغاية. خرجت الطباخة من المطبخ، عارية الأرجل، بدينة، تشبه الخنزير هي أيضاً، وقالت إن السيد يستريح بعد العشاء. أذهب إلى أخي، وهو جالس في السرير؛ ركبتيه مغطاة ببطانية؛ لقد تقدم في السن،

مترهل، خديه وأنفه وشفتيه ممدودة إلى الأمام، وهو ينظر، ومهمهم في البطانية».

أحداث هذه القصة عن أخوين، "إيفان إيفانوفيتش" و"نيكولاي إيفانوفيتش"، الذين ورثا عن والدهما حياة الرفاهية. لكن ذلك لم يستمر طويلا، لأن الديون قضت على تركتهما، مما اضطرهما إلى التأقلم مع الحياة الجديدة. وقد كانا يختلفان كلية في نظرتهم للمستقبل، ف "نيكولاي"، الأصغر سناً، كان يحلم بحياة ريفية هادئة داخل مزرعته الخاصة. فاستمر في ادخار المال سرّاً، بعد فقدان ثروته، حاملاً بالبيت الكبير المحاط بحديقة مليئة بالأشجار وكروم العنب. كان هذا الحلم بالنسبة إليه ملاذاً من قساوة الحياة المدنية، في حين كان "إيفان" راضياً بحياته البسيطة، ومعتبراً حلم أخيه "نيكولاي" هروبا من غلظة الواقع.

إن السعادة البائسة التي نقلتها هذه القصة، والتي تخلق حدودا وحواجزا بين الناس، وتجعلهم غير مباليين ببعضهم، تضعنا في موضع تساؤل حول حقيقتها وفائدتها. وهنا اختار الكاتب أن ينهي نصه بمونولوج عاطفي ناقل الحبكة من الخاص إلى العام:

«كنت أفكر: كيف، في الواقع، هناك الكثير من الأشخاص الراضين والسعداء! ... كل شيء هادئ، ... وإحصاءات غبية فقط تحتج: لقد أصيب الكثيرون بالجنون، ...، ومات الكثير من الأطفال بسبب سوء التغذية...»
«...من الضروري أن يقف شخص ما بمطرقة خارج باب كل شخص راض وسعيد ويذكره باستمرار بضربة أن هناك أشخاصا آخرين غير سعداء...»

القصة الأخيرة للثلاثية – بعنوان "عن الحب" – هي الأصعب تحليلاً وفهماً، ينتقل الكاتب فيها إلى تتبع الحركات الروحية الدقيقة، ممثلة في قضية السعادة الذاتية، وإلى ضرورتها في الحياة. يسرد النص قصة حب "ألكين" لزوجته لوغانوفيتش "أنا ألكسيفنا"، التي كانت متواجدة سابقاً في سياق قصص "رجل في صندوق"، و"عنب الثعلب"، فتعيد هذه القصة طرح الأسئلة التي تم مناقشتها في عديد الأعمال الفنية ماضياً وحاضراً بخصوص

الحب، فقد اتفقت جميعها على ، أن الحب هو ذلك " اللغز عظيم". ولكن هذه القناعة تبدو في الثلاثية و مع نهاية السرد القصصي غير مؤكدة:

«أدركت أنه عندما تحب، وأثناء تفكيرك في هذا الحب تحتاج إلى الرقي
عاليا، ما هو الشيء أكثر أهمية السعادة أو سوء الحظ، الخطيئة أو
الفضيلة، بمعنى على المرء المضي قدما، فهو لا يحتاج إلى التفكير في الأمر
على الإطلاق».

في قصة "السيدة مع الكلب" (1899). اعتبر الكاتب موضوع الحب قوة بشرية عظمى، فكل عنصر في هذا العمل خضع لمهمة أساسية -وهي إظهار فكرة التحول، إذ يصبح الشخص الضيق الأفق والقاسي حساسا ومحبا إلى أقصى الحدود. تبدأ قصة العلاقة بين "غوروف" و"آنا سيرجيفنا" بصورة عادية باعتبارها عطلة رومانسية: أحداث الفصلين الأولين تجري في المكان المسعى يالطا، في فصل الصيف. فسرد هذه القصة يتوافق كلية مع تقنية الحكمة التقليدية للقصص القصيرة - فنجد في البداية (التعارف)، وفي الذروة (العلاقة الحميمة) وفي النهاية (الفراق). لكن لاحظنا أنّ ذروة ونهاية هذا النص تحولت إلى أمر مختلف. ففي الجزأين الثالث والرابع، يأخذنا المؤلف إلى مكان وزمان آخرين - إذ تنقل الأحداث إلى فصل الشتاء، وإلى موسكو. ففي هذه المدينة تتشكل الجولة الثانية من المؤامرة - وتسرد لنا الشعور العميق المتبادل الذي يبرز هناك.

في نهاية الفصل الثاني، يصف "تشخوف" هذا الانتقال بأنه حالة من اليقظة من حلاوة النسيان لكل التفاصيل الأخرى ويؤكد عليه بتفاصيل مكانية وزمانية: "هنا في المحطة كانت رائحة الخريف بالفعل، كانت الأمسية باردة. "لقد حان الوقت بالنسبة لي للذهاب شمالا"، فكر غوروف، وترك المنصة. - حان الوقت!". وهنا تجدر الإشارة إلى أن الحب يبدو غير مكتمل وتترك النهاية مفتوحة لإشراك القارئ في تشكيلها كما يحلو له.

لقد صرح مكسيم غوركي (Maxime Gorki) بعد قراءته لقصة "السيدة والكلب" لتشيخوف ، ألا أحد بإمكانه أن يكتب عن أشياء بسيطة كما يفعل هو:

«بعد قصتك الأكثر تفاهة، يبدو كل شيء وقحا، وغير مكتوب بريشة،

وإنما تماما بجذع ...أنت تقوم بعمل ضخم مع قصصك الصغيرة-إثارة

اشمئزاز الناس من هذه الحياة الجامدة، نصف الميتة- اللعنة!»^[7]

في منتصف عام 1880 حدد الكاتب "تشيخوف" أسلوبا جديدا و"جادا" في ممارسة الكتابة الأدبية، وسعى إلى البحث عن انتقاء توجه فكري ومذهبي محدد. ولكنه استمر مع كتابة القصة القصيرة، منوعا في موضوعاته. وفي شخصياته. وهنا نلفي الكاتب لم يقتصر في أعماله، على تصوير مجال واحد من مجالات الحياة. ولكنه نوع بين سكان المدينة والقرية، والنبلاء، والفلاحين، والضباط، والأطباء، ورجال الدين، والكتاب، والممثلين.

ولم تكن الفوارق الاجتماعية والمهنية بالنسبة ل "تشيخوف" ذات أهمية كبرى. بسبب اهتمامه بشكل أساسي بالتفاعل العاطفي مع الأشخاص، ومع المجتمع الذي كان مجبرا أن يعيش معه والذي حاول أن يجد لنفسه مكانة ضمنه. ولهذا كان موضوع تصادم الوعي الفردي مع عظمة الحياة والوجود الإنساني من الموضوعات المفضلة لدى "أ.ب. تشيخوف".^[8]

وقد تميزت إبداعات "تشيخوف" بالحفاظ على الموضوعات المتداولة قبله – مثل الحب والسعادة والفقر والعدالة، ولكنه أضاف موضوعات جديدة -الاغتراب والخوف من الواقع، والجنون الاجتماعي والجنون الشخصي، وموضوع الحرية الداخلية. بصياغة أخرى، يمكننا القول بأن مواضيع قصص "أ.ب. تشيخوف" واسعة النطاق، ومع ذلك، فالأغلبية اشتملت على موضوع الحب والسعادة والعدالة والخوف من الواقع وجنون العامة وجنون الفرد وآثار الأوهام القاتلة.

3. الإشكاليات في قصص تشيخوف:

كان طرح الأسئلة في قضايا قصص "تشيخوف" الكاتب والطبيب أكثر أهمية من تقديم الإجابة (على الرغم من شكوك الكاتب حول الحقائق الواضحة). فبالنسبة إليه، فإن الكاتب ليس حكماً، وإنما هو "شاهد محايد" على الواقع، ويكمن عمله في "صياغة الأسئلة بطريقة صحيحة"، بعيداً عن محاولة حلها. ففي عالمه الفني، تعمل "الصياغة الصحيحة للأسئلة" كمبدأ تقني وشاعري وتمثل جوهر جمالية "الموضوعية".

يفسح التصوير الحيادي والبسيط للواقع مجالا واسعا للكاتب لمناقشة موضوعه مناقشة فكرية وفلسفية، منتقلا إلى تحليل التحولات الدقيقة للروح الإنسانية، وصولاً إلى قضية المعنى الدقيق للسعادة الشخصية، والتي هي فاصلة لاستمرار الحياة السوية للفرد.

تحكي قصص "الحرباء" (1884)، "موت مسؤول" (1883)، "سمين ورقيق" (1883) – عن أبطال يستبدلون حياتهم الهادئة بخوف دائم من المجهول. ونكتشف – بعد تدقيق في الأمر – ألا أحد يضطهدهم، فهم أنفسهم يخافون من الحياة ويحملون بداخلهم عبودية لا حدود لها. وقد أرجع الناقد الأدبي المتميز جي بي. بيردنيكوف سبب الإبداع السريع والمتزايد للكاتب الشاب هو اختياره لكل من "غوغول" و"شيدرين" و"هيرزن" و"تورجينييف" كمعلمين [9]. ولكنه خالف هؤلاء في تصوير "الرجل البسيط" بشكل مختلف، مبتعداً عن التصوير التقليدي في الأدب الكلاسيكي الروسي. "فالرجل البسيط" لتشيخوف ليس ضحية لتأثيرات خارجية، ولكنه ضحية لجبنه وانعدام شجاعته.

وحسب المؤلف، فإن تشبث الشخص بأفكاره الخاطئة وأوهامه، قد توصله إلى تلك النهاية الحتمية. ومن هنا، فأبطال "أنطون تشيخوف"، مزيّفون لأنهم فضلوا العيش في واقع لا حقيقي، فهم يميلون بعد مواجهتهم الواقع، إلى اختيار الموت الجسدي أو المعنوي. وقد تجنب

"تشيخوف"، في كل ذلك، التصريح بموقفه، لكن ذلك، لم يمنعه من إثارة أسئلة كثيرة حول الحياة والإنسان.

حاول "تشيخوف"، بطريقته الخاصة، أن يشرح أسباب التقهر الروحي، معارضا قيود المجتمع من جهة وغباء الفرد من جهة أخرى. فوسط مجموعة "الروايات والقصص القصيرة". نقل "تشيخوف" صورة الواقع ومكانة الفرد فيه. [10] كما نجح في التقاط جوهر الإنسان وعرضه بصدق وعمق، إذ تمكن من استكشاف جوهر النفس البشرية، وتصوير الصراعات الداخلية والتناقضات الاجتماعية انطلاقاً من شخصيات ورقية تقبلها القارئ من الوهلة الأولى، وهذا ما جعله كاتباً فريداً في عالمنا المعقد والمتناقض.

4. الخاتمة:

يحق لنا أن نطلق على "تشيخوف" بجدارة لقب سيد الأعمال النثرية، فهو أحد أفضل كتاب القصة القصيرة في العالم. فمن السمات الأساسية لعمله، تواجد المعاني الضخمة للحياة في المساحة النصية الصغيرة، حيث تتميز قصصه بحجمها القصير والموجز. كما كُرس الكثير من الأعمال النقدية لدراسة نثر تشيخوف، فجذبت نصوصه أقلام العديد من النقاد والباحثين وعلماء اللغة منذ بدايته الكتابة إلى يومنا هذا.

فكتبت عديد المقالات والدراسات والمراجع حول خصوصية نثره وتنوعه وبنيته التركيبية والتصويرية. ولقد اعتمدنا في هذا المقال، على بعضها. وأثناء اشتغالنا، تبين لنا، أن الأدب الروسي، بثرائه وعمقه، كان مرآة عاكسة للروح الإنسانية بكل ما تحمله من تناقضات وتحديات. ولا شك أن أعمال "أنطون تشيخوف" تجسد ذروة هذا الأدب، إذ تمكن هذا الكاتب من تقديم رؤية شاملة للحياة عبر عدسة موضوعية، فأظهر التعقيدات النفسية والاجتماعية للإنسان دون أحكام مسبقة ودون اقتراح إجابات جاهزة.

إذن، تميزت كتاباته بالقدرة على كشف التفاصيل الصغيرة المشكلة لعمق التجربة الإنسانية، مع تركيزه على قضايا الحب، والسعادة، والخوف من الواقع، والعدالة، مما يجعلها صالحة لمختلف الأزمنة. و بأسلوبه السردي الفريد، يبتعد "تشيخوف" عن المباشرة ويترك المجال للقارئ لاستنتاج مختلف الخطابات والأفكار، مما يعكس احترامه لذكاء المتلقي.

والأهم من ذلك، أن "تشيخوف" لم يكن مجرد كاتب؛ بل كان شاهداً حياً على قضايا عصره ومجتمعه، مقدماً تحليلاً دقيقاً لمكانة الإنسان في العالم، سواء عبر شخصياته "العادية" أو عبر معالجاته للقضايا الفلسفية الكبرى. لقد تجاوزت رؤيته حدود الأدب الروسي لتصبح إرثاً عالمياً، يُلهم الأجيال ويعزز فهم الإنسان لنفسه ومحيطه.

في النهاية، تبقى أعمال تشيخوف شاهداً على قوة الكلمة المكتوبة، ودورها في إثراء الفكر والروح، وتذكيراً دائماً بأن الأدب الحقيقي يتجاوز حدود الزمان والمكان ليخاطب أعماق الإنسانية.

قائمة المراجع:

^{1*} دونالد رايفيلد لغوي وناقد أدبي ومؤرخ من المملكة المتحدة.

[1] Rayfield Donald, (2015), *The Life of Anton Chekhov* – M.: Azbouka–Atticus, P. 4.

[2] معالي حنين (2020)، الرواية بين الأيديولوجيا والفن: (الرواية الأردنية أنموذجاً) (الطبعة الأولى)، عمان: الآن ناشرون وموزعون، صفحة 58، 59، 63. بتصرف.

[3] العمراني فاروق (1995)، النقد والأيديولوجيا: بحث في تأثير الواقعية الاشتراكية في النقد العربي الحديث من خلال أعمال محمد مندور ومحمود أمين العالم وعبد العظيم أنيس وحسين مروة، تونس: دن، صفحة 71، 197، 64.. بتصرف.

^{2*} ألكسندر بافلوفيتش تشوداكوف 1938-2005، مؤلف وكاتب روسي، متخصص في أعمال تشيخوف.

[4] Chudakov A. P., (1971) *Chekhov's Poetics* – Nauka, Moscow, p. 93 82-

^{3*} ألكساي مكسيموفيتش بيشكوف (Alexei Maximovich Peshkov)، المعروف باسم ماكسيم غوركي، كاتب روسي ومفكر سياسي. تم ترشيحه خمس مرات لجائزة نوبل في الأدب. قبل نجاحه كمؤلف، سافر على نطاق واسع عبر الإمبراطورية الروسية لتغيير وظائفه بشكل متكرر، وهي تجارب أثرت لاحقاً على كتاباته.

^{4*} فالونتين بيتروفيتش كاتاييف (1897-1986)، روائي وكاتب مسرحي روسي وسوفييتي، تمكن من إنشاء أعمال تناقش الظروف الاجتماعية لما بعد الثورة دون أن تتعارض مع متطلبات النمط السوفييتي الرسمي.

[5] Kataev V.B., (1979), *Chekhov's prose: problems of interpretation*, Publishing House of Moscow State University, Mosco, p. 43.

^{5*} الكسندر الكسيفيتش ايزمايلوف (1873-1921)، ناقد ادبي و كاتب من الإمبراطورية الروسية.

[6] Klamisi,(29.05.2016), Зрелое прозаическое творчество Чехова. Жанр рассказа и повести, Нижегородский Государственный Университет им. Н.И. Лобачевского.<https://studfile.net/preview/6359640/page:13/>

[7] Gorky A.M., — *Chekhov. After January 5, 1900 Nizhniy Novgorod. Gorky's Letters to Chekhov, pp. 185-187; Gorky, vol. 28, pp. 112-114.* <http://gorkiy-lit.ru/gorkiy/pisma/pismo-99.htm>

[8] Gurvich I. A., (1970), *Chekhov's prose. Man and reality*, Artist. lit., , Moscow, p 25.

[9] Бердников Г. П., (1970), *А. П. Чехов. Идеиные и творческие искания* –Худож. лит., Л.: – с.117.

[10] Kuleshov V. I., (1982), *The life and work of A.P. Chekhov: an essay*, Detlit., , Moscow, p. 114